تجريب المصطلح النّقدي في المدونة النسقية الجزائرية –البنيوية والسيميائية أنموذجان–

Testing the Critical Term in the Algerian Systemic Discourse: Structuralism and Semiotics as Models

نوال جوابلية

[1] جامعة يحي فارس المدية (الجزائر)، Djouablia.nawel@univ-medea.dz

تاريخ الارسال 2025/08/01	تاريخ القبول2025/12/02	تاريخ النشر2026/04/15

الملخص

يسعى المقال إلى معالجة إشكالية إيجاد المقابل الاصطلاحي، باعتبار أن المصطلحات هي مفاتيح العلوم و الجسر الرابط بينها وبين متلقيها، إذ نسجل اهتماما واضحاً بدراسة الأسس العلمية في وضع المصطلح، ومن بين هذه الآليات: الترجمة التي لها دور كبير في نقل المصطلحات بين الثقافات، غير أن تعدد اتجاهات و مصطلحات أدى إلى إفراز الكثير من الإشكالات النقدية، التي حالت دون احداث ذلك الاتفاق والتوافق بين النقاد، فالمصطلحات المنتجة خارج المجال الثقافي العربي مثلا ليست واحدة، فهي تختلف وتتناقض، وهو خطأ جسيم وقع فيه نقادنا أثناء نقلهم للمصطلحات الغربية.

والنقد الجزائري لا يبتعد عن هذا الواقع، إذ ألفينا تزاحماً وفوضى واضحين على ساحة نقل المصطلح الأجنبي خاصة فيما تعلق بالمنهجين

Abstract

The article seeks to address the problem of finding appropriate terminological equivalents, considering that terms are the keys to knowledge and serve as the bridge between disciplines and their audiences. There is a clear focus on studying the scientific foundations of term formation, among which is translation, which plays a major role in transferring terminology across cultures. However, the multiplicity of critical approaches and terminologies has led to numerous critical problems, preventing agreement and consensus among critics. Terms produced outside the Arab cultural context, for example, are not unified; they differ and often contradict one another. This has led to serious errors committed by some of our critics when transferring Western critical terminology.

Algerian literary criticism is no different from this reality, as we observe clear congestion and disorder in the field of transferring foreign terminology, especially with regard to the structuralist and semiotic

approaches. While some critics have limited themselves to Arabization and translation, others have preferred to coin their own individual terms. To what extent have Algerian critics succeeded in testing the terminology of certain critical approaches, and what is their justification for doing so?	البنيوي والسيميائي، ففي الوقت الذي اكتفى فيه البعض بالتعريب و الترجمة، فضل البعض أن يصطنع لنفسه مصطلحات خاصة به؟ فالى أي مدى نجح النقاد الجزائريون في تجريب مصطلحات بعض المناهج النقدية؟ وما حجتهم في ذلك؟
Keywords :Algerian criticism; Terminology studies; Systemic approaches	**كلمات مفتاحية: النقد الجزائري؛ علم المصطلح؛ الدراسات النسقية**

المؤلف المرسل: نوال جوابلية، **الإيميل**: Djouablia.nawel@univ-medea.dz

1. مقدمة:

شكلت الدراسات النقدية العربية المعاصرة نموذجاً جديداً وخاصاً من نماذج النقد العربي التي تنجذب تارة نحو القديم وتارة نحو الحداثة والمعاصرة، هو ما خلق حالة من الفوضى والازدحام على مستوى المصطلحات النقدية الوافدة، بعضها مترجم، وبعضها الأخر معرب، إذ تختلف المصطلحات في مفهومها ودلالتها واستعمالها من باحث على آخر، حسب درجة وعيه بالمصطلح والمنهج في حد ذاته.

الأمر الذي دفع نفراً من النقاد الجزائريين –بحكم التأثر–إلى وضع وتأسيس المصطلح النقدي وفق رؤية خاصة، وخاصة فيما تعلق بتجريب المصطلح في الدراسات النسقية، والتي اخترنا منها المنهج البنوي والسيميائي، فكيف استقبل النقاد الجزائريون المصطلحات الغربية؟ وهل اكتفوا بترجمتها فقط؟ أم كانت لهم صناعتهم الخاصة؟

2. جدلية النقد والمصطلح:

إن البحث في جدلية النقد والمصطلح هو بحث في سيرورة تاريخية تؤرخ لتلك المراحل التي مر بها النقد، فمن المعيارية إلى الوضعية مرّ النقد عبر سلسلة مراحل كان الفكر هو القائد الموجه لهذا الأخير، ففي

مرحلة مبكرة كان النقد انطباعياً و ذوقياً لا يخضع لأي معايير دقيقة وموضوعية، فقط هي الذات الناقدة التي تتولى الحكم دون تعليل.

وضاق حيز النقد وأصبح حكراً على ذوي الفطرة، إذ أصبحت الذات المتمرسة تقرأ وتدرس وتحكم في النهاية، بعد رحلة تأمل و تمحيص دقيقة، واقترب –حينئذ –النقد من موضوعيته المنشودة، وسار النقد العربي على هذا النحو مدة ليست باليسيرة، اختلط فيها بالمقارنة والمقابلة حيناً وبإطلاق الأحكام النقدية التي تراوحت بين العمومية حيناً و الذوقية حيناً أخر.

ولعلّ سمة الذوقية التي الصقت بالنقد لعلة أو دونها، لا يمكن تبريرها باستسلام الناقد الى أهوائه ومواقفه الخاصة اتجاه النص، الذي هو في النهاية تجربة إنسانية ، بقدر ما يمكن تبريرها بتأثر الناقد بثقافته ومرجعياته الفلسفية والاجتماعية وغيرها، إذ أن النقد في النهاية ما هو عملية تقييمية تقويمية لا تأتي من فراغ.

وهو ما يبرر موقف بعض المهتمين بالأدب بماهية النقد في حد ذاته، وطرح إشكال هل النقد علم أو فن؟ وفضل البعض الانتصار للعلم رغبة في رفع درجته الى مصاف العلوم الأخرى، بينما رأى البعض الآخر أن «معرفة ويطمح أن يكون علماً، ولكنه علم بغيره وليس علماً بنفسه، والسبب أن موضوعه الذي هو القول الأدبي ليس معطى جاهزاً مع معطيات الطبيعة، وليس واقعة عارضة من وقعات الوجود، وإنما هو بنفسه شاهد على فعل إبداعي يؤلفه الإنسان، ولا يِلفه أي إنسان كما اتفق»[1]، فهو على ليس علماً ولا يمكن ان يكون كذلك، ,لكن وجب ان نأخذ فيه بروح العلم، وليسغاية في حد ذاته، بل هو صناعة غرضها تقريب المعرفة الى الغير.

فالنقد فن مشتق من غيره وهو الأدب، عذ لا وجود له دون وجوده، فهو يشتق منه قواعده ويسلط عليه مقاييسه، أن تكون ناقداً فمعناه أن تفهم الأدب و تتذوقه في مرحلة أولى، ولكنك أنت ملزم ايضاً ببيان قيمته الموضوعية و التعبيرية والشعورية، وفق رؤية دقيقة ومنهج صارم، قد يختلف مع غيره في التصور وآليات المقاربة، غير أن القاسم المشترك لهذه التعددية و الاختلافات واحد و هو الأدب والعمل الأدبي، فإن اختلفت مواقف النقاد باختلافات مناهج النقد، فالأدب هو الجامع بينهم .

ومما لا شك فيه هو أن مفاتيح المناهج النقدية هي مصطلحاتها، إذ مجمع أفكارها وتصوراتها، وترجمانها الذي يعتبر بمثابة الجسر الذي ينقل هذه التصورات الى واقع النقد، فلما كان النقد منهجاً لبناء المعرفة و أساساً لقيامها، بات المصطلح منفذها الذي تصدر عبره هذه المعرفة، إذ لا « مسلك يتوسل به الإنسان الى منطق النقد غير ألفاظه الاصطلاحية، حتى كأنها تقوم منه مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلاّ محاور العلم النقدي ذاته»[2]. ، وهو ما يحتم على كل حقل معرفي تأسيس جهازه المفاهيمي الخاص به، مع عدم نفي واقع تداخل المصطلحات و وهجرتها من حقل معرفي إلى أخر.

وعلى هذا يصبح من الضروري على الناقد تسلحه بوعي بمصطلحي، وان يتمتع بمعرفة لغوية ومعجمية واسعة وثقافة عالية، تجعله قادراً على الغوص في أعماق النص عبر هذه المناهج، فمن ظن أن الناقد قادر على أن يتحدث في النقد بغير جهازه المصطلحي فقد ظلمه وكلفه ما لا طاقة له به.

وقد تفطن العرب قديماً إلى أهمية المصطلح، وأولوا عناية خاصة به، واجتهدوا في وضعه وضبطه، خاصة بعد أن اتسعت العلوم و تنوعت وتداخل بعضها مع بعض، فقد استوحى القدماء مصطلحاتهم من البيئة التي كانوا يعيشون فيها، و نمت هذه المصطلحات وتطورت ردحاً من الزمن دون حاجة للاستعانة بمصطلحات من بيئات أخرى في ظل محدودية الاحتكاك بهذه البيئات أصلا أو انعدامه، باستثناء بعض المصطلحات الفلسفية التي تسربت من الحضارة اليونانية والفارسية.

ومع مرور الوقت وانفتاح العرب على غيرهم من الحضارات، أصبح الاختلاط واقعاً لا مفر منه، وعلائق التأثر والتأثير ما فتأت تشتد و تتبدى على مستويات عدة، الأمر الذي أدى إلى ظهور المجامع العلمية واللغوية في مختلف الدول العربية، وهو ما أثر كثيراً في إثراء حركة المصطلح، تقعيداً و ضبطاً وتدقيقاً، إذ نسجل جهوداً حثيثة في هذا الشأن على غرار ما قدمه إدريس الناقوري و أمجد الطرابلسي وغيرهم.

ولم يسلم النقد الجزائري من التأثر بهذه الحركة المتنامية التي صاحبت تنامي واتساع المناهج النقدية وتعددها، والتفت النقاد الجزائريون الى المنهجية الحديثة من خلال ترجمة العديد من المؤلفات النقدية، الاطلاع المستمر على ما قدمه الغير من خلال البعثات العلمية خاصة، فسجل الكثير من النقاد الجزائريين حضورهم اللافت على غرار "عبد الحميد بورايو"، "رشيد بن مالك"، "عبد المالك مرتاض"، هذا الأخير

الذي كان بالفعل مثالاً يحتذى به، إذ استطاع من خلال مزجه بين القديم والحديث أن يمنح النقد الجزائري أصالة تحمل خصوصية و جذوراً لا يمكن انكارها .

ويعرف "يوسف وغليسي" المصطلح بقوله: إنه« علامة لغوية خاصة تقوم على ركنين أساسيين لا سبيل إلى فصل دالها التعبيري عن مدلولها المضموني، أو حدها الشكل (forme) أو التسمية(dénomination)، والأخر المعنى (sens) أو المفهوم (notion) أو التطور(concept)، يوحدهما "التحديد أو التعريف(définition) أي الوصف اللفظي للمتصور الذهني»[3] ، أي أن المصطلح هو عبارة عن أداة إجرائية يتم من خلالها الوصول إلى المعنى، ومنه يصبح لزاماً على الباحث في التأصيل المصطلحي وضع حدود واضحة ودقيقة ، وقادرة على محاصرة المعاني الدلالية التي يبوح بها ، وجديرة بتجسيد تلك الاستقلالية عن باقي المصطلحات سواء تلك التي تقع في نفس مجال التخصص، أو تلك التي تقع في دائرة بحث مغايرة، مع ضرورة مسايرة التطورات التي تعرفها العلوم المختلفة.

هذه الضوابط متى استطاعت صناعة المصطلح الالتزام بها، تمكن النقد من اكتساب قاعدة متينة لا تتزعزع أمام تلاقح معرفي غاية في التعقيد، الامر الذي أدى بالمهتمين بشأن وضع المصطلح البحث عن طرائق محددة لصوغه، ففي الوقت الذي دعا فيه البعض إلى اللجوء التراث واستلهام مصطلحات من لغته اعتماداً على تقنية النحت أو الاشتقاق و غيرهما بحجة تلك الشرعية التي يتمتع به تراثنا العربي، والذي استطاع على مر الزمن مواجهة كل التغيرات بفضل خاصية الاشتقاق التي جعلت اللغة العربية لغة حية ولودة لا تعرف العجز.

فيما يذهب البعض الأخر منحى أخرى غير العودة الى التراث، أي استعارة بعض المصطلحات الغربية الجاهزة، والعمل على تعريبها، بإدخال بعض التعديلات الصوتية والصرفية حتى تتناسب مع اللغة العربية التي نقلت إليها، ويدخل مفهوم التعريب ضمن ظاهرة لغوية عالمية تسمى بالاقتراض وتعني «أخذ الكلمة كما هي في اللغة العربية الأصيلة مع بعض التعديلات في الأصوات... أو هو الاستعارة المستديمة بحيث تصبح المفردة مستخدمة بشكل منتظم للتعبير عن معنى معين»[4].

ولعلّ الاقدام على هذه الخطوة لتوليد المصطلحات في النقد العربي، دفعت البعض للوقوف موقف الحذر، إذ نجد أحمد مطلوب مثلاً لا يرى فيه إلاّ ضرورة أوجدتها الحاجة الملحة فقط، لأن فتح الباب أمام التعريب سيسهم في إشاعة الدخيل في اللغة العربية، وهو ما يعني عجزها عن توليد مصطلحاتها من لدنها ، و أن العرب ما لجأوا إليه إلاّ مكرهين تحت طائلة الحاجة فقط.

3. علاقة المنهج بالمصطلح:

تعد المناهج النقدية وسائل وأدوات مساعدة على سبر أغوار الظاهرة الأدبية، وليس غاية في حد ذاتها، وهو ما يبرر العلاقة التلازمية بين النص وهذه المناهج النقدية التي هي في سيرورة من التعديل لا تكاد تحد، وهو ما يحتم على الباحث تحري الدقة في اختيار المنهج واليات تطبيقه، التي لا تتحقق إلاّ من خلال جهاز مفاهيمي يترجم عبر نسق لغوي إلى وحدات اصطلاحية كفيلة بالكشف عن البنى الداخلية لكل منهج.

إن الحديث عن المصطلح بشكل عام يقودنا لا محالة للحديث عن المنهج، باعتبار أن المنهج هو الكفيل بتحديد نتائج البحث مسبقاً، شريطة أن تكون صناعة هذا المصطلح قائمة على لغة دقيقة تبنيه وتمنحه هويته، هذه اللغة التي تتمظهر في جهاز اصطلاحي يعرفه و يميزه عن غيره من المناهج.

ويعرف السيد بحراوي أن المنهج هو «مجموعة متناسقة من الخطوات الإجرائية المناسبة لدراسة الموضوع، تعتمد على أسس نظرية ملائمة وغير متناقضة معها، أي أن التناسب و التناسق لا بد أن يتم بين جوانب ثلاثة: الأصول النظرية للمنهج، وأدواته الإجرائية والموضوع المدروس»[5]، هذا التعريف بين المقومات التي تحدد المنهج حيث أن الأدوات الإجرائية تتغير وتتطور تبعاً لتغيير الموضوع المدروس، حيث تكون هذه الأدوات أكثر ملاءمة مع أصول النظرية للمنهج ، بما يمنحه شمولية أكثر، تنفي عنه جزئيته، وقصوره.

وتعد إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر مسألة شائكة مرهونة بما حققه العصر من إنجازات نقدية واسعة، أخرجت النقد العربي من دائرة الذوقية والانطباعية، الى فضاء العلمية المؤسس على قواعد موضوعية، خاصة إذا علمنا أن جل المناهج النقدية المعاصرة قد انتقلت الى العالم العربي من خلال التبادل الثقافي، و علائق التأثر والتأثير.

وهو ما يطرح أمامنا إشكالية تبني هذه المناهج وما يلحق بها من مصطلحات، وأليات إجرائية كثيرًا ما طرحت حولها الشكوك فيما عن كانت قابلة فعلاً للمقاربة والتطبيق في ظل الاختلافات البينّة بين الثقافة العربية ونظيرتها الغربية، وهو ما يعلل تلك المزاحمات الحاصلة على الساحة النقدية التي أصبحت بالفعل تعج بمصطلحات، حتى أصبحت صناعة المصطلح صنعة من لا صنعة له.

ومما لا يختلف فيه اثنان أن تلك العلاقة بين المناهج النقدية و مصطلحات هي علاقة وجودية، باعتبار أن المصطلح ما هو إلاّ « إشارة لغوية تحددت هويته بإلغاء العلاقة الاعتباطية، وتواطأت الذاكرة العظمى على تصور أو حد له »[6]، ويظهر ذلك في ما يحدثه المصطلح من تأثير جلي في تحديد طبيعة المنهج ووظيفته ، سواء على الجانب النظري أو التطبيقي، وهو ما يؤكد صلة القرابة الوشيجة التي ينبغي على الباحث تأسيسها، حتى يصل الى ما يبتغيه من نتائج، إذ لا يمكن في أي حال تجاهل هذه القرابة، وإلاّ تصدع الخطاب النقدي، وفقد مصداقيته في مقاربة النص واستنطاقه.

فالمنهج مرهون في مقارباته بدقة المصطلح الذي يصدق في التعبير عنه، كل ما يصيب المصطلح من ضبابية وعدم دقة ينعكس سلباً على المنهج، فهو يفقد فاعليته في غياب المصطلح الدقيق ، «فالمنهج و المصطلح رديفان متلازمان، ؛إن المصطلح في أدنى وظائفه هو مفتاح منهجي»[7]، وهذا يعني أن لكل منهج مصطلحات محددة تنضوي تحته، والرباط الذي يجمع بين المنهج والمصطلح هو خلاصة تداخل وتزاوج وتماهي، تتلاشى فيها الحدود، ويتعذر معها تصور هويتين مختلفتين، فهما في ذلك حال الدال والمدلول في عملية الأداء اللغوي، لا يمكن فصل وجه العملة الأول عن وجهها الثاني.

وهو ما يجعل الناقد ملزماً في التعامل بحيطة وروية مع المنهج وما يطلبه من مصطلحات، دون التعدي على ملكيته الخاصة لهذه المصطلحات، إذ ينبغي عليه مراعاة التطابق بين المنهج الذي يتبعه في دراسة ما، والمصطلحات التي يتوجب عليه الاستعانة بها، فاختياره لمصطلحاته والتزامه بها يحميه من خطر الانزلاقات المعرفية و الفكرية ، التي قد تنجر عن خطأ أو غفلة أو استخدام غير علمي لمصطلح ما، وإذا فقد الناقد التحكم في لغة المنهج سينتهي حتماً إلى أحكام مشوهة مضطربة، وتصبح القراءة ضرباً من العبث، كما تفقد الدراسة جوهرها وحقيقتها، ويصبح الخطاب حينئذ كياناً فاقداً للموضوعية العلمية.

ولما كانت المصطلحات مفاتيح العلوم، فهي بذلك تضطلع بمجموعة من الوظائف تتراوح بين الوظيفة المعرفية الى الوظيفة التواصلية فاللسانية، فأما الوظيفة المعرفية فتتعلق بمسألة وجود العلم في حد ذاته من عدمه، إذ أن المصطلح هو لغة العلم والمعرفة، ولا سبيل لتمكن من العلم دون التمكن من مصطلحاته، فهو سبيله لتحقيق وظائفه، وأما الوظيفة التواصلية فالمراد بها تلك الغاية التي يحققها المصطلح بوصفه لغة خاصة للتواصل بين أفراد فئة معينة، وبين الباحث ومجال بحثه، فكما أن لكل مجتمع لغته التي تمكن أفراده من تحقيق التواصل و والتفاهم، فإن لكل علم مصطلحاته الخاصة به، والتي تمكننا من ولوجه وفهمه، فالعلوم هي أنساق معقدة من المفاهيم، والمصطلح هو القادر على فك التشابك الذي يحول دون بلوغ المقاصد والغايات، إذ لا يمكن تبليغ العلوم ولا إفهامها إلاّ بما ينسجم مع تلك الأنساق ، فعي نخبوية تفقد فاعليتها خارج بيئتها واختصاصها.

4. تجريب المصطلح النسقي في النقد الجزائريّ المعاصر:

1.4. موقف النقد الجزائري من النظريات الغربية الحديثة:

تشير معظم الدراسات إلى أن النقد الجزائري نشأ في بداياته بسيطاً، يفتقد لكل معالم الدقة الموضوعية المطلوبتين في أي علم، إذ تجلت المحاولات الأولى في أعمال جمعية العلماء المسلمين وغيرهم من الأدباء، وكانت عبارة عن مقالات مقتضبة تفتقر للتصور الدقيق وللصرامة المنهجية، برؤية جزئية تقتصر على تصحيح الأخطاء اللغوية والعروضية، مع بعض الشروح البلاغية العامة، دون تقديم للمبررات العميقة الوافية، بل مجرد تعاليق سطحية ذات توجيهات معيارية صارمة.

ولعلّ بداياته المنهجية قد تحددت فعلياً مع ظهور أو كتاب نقدي كان بإمضاء أبو القاسم سعد الله (محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث) سنة 1965، إذ تمكن صاحبه من تقديم دراسة نقدية دقيقة قائمة على أسس موضوعية تراوحت بين اللغة والأسلوب، والبلاغة، لينتقل النقد بعد هذا المنعرج إلى مرحلة جديدة، وهي مرحلة التلاقح الثقافي و اكتشاف الأخر، ليتحول النقد الجزائري–والنقد العربي ككل– إلى أشتات منهجية يستعصي ردها إلى منهج بعينه، أو إلى مناهج متقاربة ، فمعظم النقاد

يدرسون الأدب الجزائري والعربي وفق رؤية ومنهج غربيين، دون التحقق من مدى ملاءمة هذه المناهج وصلاحيتها للتطبيق على النص العربي، لأنها بالأساس أنتجت لمقاربة نصوص بلغة وفكر مغاير تماماً.

لقد عرف النقد الجزائري تعاملاً مع المناهج السياقية والنسقية، حيث تشير أغلب الدراسات أن أولى هذه التعاملات كانت مع منهج التاريخي، وتحديداً في فترة الستينيات، مع كل من أو القاسم سعد الله، صلاح خريفي، عبد الله ركيبي، عبد المالك مرتاض وغيرهم، اما في سبعينيات القرن الماضي فقد عرف النقد الجزائري رؤية جديدة أوجدتها الظروف السياسية على وجه التحديد (النظام الاشتراكي)، حيث أخذ النقد وجهة اجتماعية محضة، بقلم كل من محمد مصايف، ومحمد ساري وغيرهما.

ومع الانفتاح المتزايد على الغرب الذي تحقق بفضل البعثات العلمية، التي أسهمت في اتصال النقاد الجزائريين بالجامعات الأجنبية، واطلاعهم على المناهج النقدية وأصولها هناك، عبر الملتقيات العلمية والمجلات المتخصصة إذ أسهمت هذه الظروف في تعرف النقاد الجزائريين على مناهج جديدة، في صورة المنهج السيميائي والبنيوي، وقدد كان عبد المالك مرتاض سباقاً في اعتماد المنهج البنيوي خاصة، إذ مهدت جهوده «لإرساء منهج نقدي جديد يتحكم في التأويل المحايث للظاهرة النصية مجرد من سياقاتها الخارجية، برؤية بنيوية لم تسلم من بعض ملامح التقليدية مثلما تعثرت على عتبة الفصل بين شكل النص ومضمونه، لينجر عن ذلك تجزئ المنهج وإخفاقه في احتواء الظاهرة النصية مجملة»[8].

كما نجد حضوراً لافتاً "لعبد الحميد بورايو" في تبني الطرح البنيوي، البنيوية التكوينية على وجه التحديد، ويظهر ذلك من خلال كتابه(قراءة أولى في الأجساد المحمومة)، وهي محاولة بنيوية متقدمة تناول فيها الناقد البنية السردية وفقاً لرؤية وصفية تحليلية، وبإجراءات مصطلحية جديدة، حيث تعززت جهوده وفق رؤية منهجية أكثر دقة ،من خلال مؤلفه الثاني(القصص الشعبي في منطقة بسكرة–دراسة وصفية)، حيث بدت مقاربته البنيوية أكثر وضوحاً ، بالرغم من أنه لم يصرح علناً بتوجهه إلاّ أنه الجهاز الإجرائي للناقد كشف عن جملة المصطلحات البنيوية، في صورة البنية الأكبر، رؤية العالم، الشرح...إلخ،

حيث علل مصطلح الشرح بقوله: « نعني بشرح النص إدماج الدلالة في بنية أكبر منها، تلقي الضوء على كيفية تولد هذه البنية الدالة، ويعني هذا الشرح بالواقع الخارجي متجاوزاً بذلك النص الخاضع للتحليل

عن طريق البحث عن ابنية متشابهة تتواجد في وعي جمهور النص بالواقع الخارجي الذي يحيون فيه، وهو ما سيمكنن من الكشف عن رؤية الجماعة الشعبية التي صدر عنها النص للعالم الذي تعيش فيه»[9].

أما عن المنهج السيميائي فقد سجل هو الأخر حضوره القوي، من خلال جهود كل من "رشيد بم مالك"، و "حسين خمري" وأحمد يوسف" و غيرهم، ولكنه لم لا يكاد يأخذ طابعه المنهجي إلاّ مع عبد مالك مرتاض خاصة، إذ استفاد هذا الأخير من هذا المنهج واتخذ سبيلاً في التطبيق، من خلال مؤلفاته على غرار: الف ليلة وليلة- تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد-(1983)، وكتابه أيضاً "أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي لمحمد العيد أل خليفة"(1992)...ألخ، حيث تميزت دراساته بظهور واضح للمنهج السيميائي.

كما نجد حضوراً لافتاً "لعبد القادر فيدوح" الذي استهل جهوده النقدية السيميائية مع مطلع التسعينيات، بكتابه (دلائلية النص الأدبي)، فهو عبارة عن قراءة سيميائية للشعر الجزائري، اعتمد على جانب نظري ومقاربة تطبيقية، إذ عرض الناقد في الشق النظري بعضاً من المفاهيم السيميائية مع مقابلاتها الأجنبية، بينما تضمن الجانب التطبيقي مقاربة سيميائية لقصيدة "بكر بن حماد".

ويمكن القول إن ما قدمه "عبد القادر فيدوح" يعد إضافة فعلية للتجربة النقدية الجزائرية، إلى جانب أسماء أخرى على غرار "رشيد بن مالك" الذي قدم هو الأخر دراسة سيميائية كانت موجهة في الغالب الى النصوص السردية في صورة مقالات منشورة :مثل تحليل سيميائي لقصة عائشة ل"أحمد رضا حوحو"، ونوار اللوز لوسيني الأعرج ، وبهذا يكون المنهج السيميائي قد أحرز نقطة تحول هامة في النقد الجزائري، بفضل توجه العديد من النقاد إلى اعتناقه بقوة، الى جانب مناهج أخرى كالأسلوبية و التفكيكية.

ونحن ومن خلال هذا البحث سنسلط الضوء على جانب من التعالق الحاصل بين المنهجين السيميائي والبنيوي والنقد الجزائري، مركزين دائرة التحليل والدراسة على المصطلح بوصفه مفتاحاً للمنهج على النحو التالي:

2.4. تجريب المصطلح البنيوي في النقد الجزائري:

لقد عدت البنيوية من اهم المناهج النسقية التي ذاع صيتها في وطنها الأم، ثم خارج حدودها نظراً لإقبال النقاد عليها باعتبارها منهجاً حداثياً وجد فيه الناقد ضالته، التي فقدها في المناهج السياقية بقصورها، إذ تعتمد البنيوية على مقاربة النص مقاربة آنية محايثة، وتنظر له على أنه كيان لغوي متعالق العناصر مستقل بذاته عن جميع السياقات الخارجية.

لذلك فمن الضروري على الباحث السيميائي أن يشرع في مقاربته بالملاحظة أولاً، وثم يسعى إلى أدراك علاقات الأجزاء و كيفية انتظامها فيها، أي أنه يسعى إلى الكشف عن تفاصيل انتظام الأجزاء انطلاقاً من تحديد صوري للكل الذي يجمعها، والذي يأخذ طبيعة عامة مغايرة لطبيعة الأجزاء المكونة له [10]، مما يمنح النص شمولية تتناسق فيها البنية و تتسق داخلياً وفق نظام محدد و ثابت، على هذا ترى البنيوية النص على أنه نص مغلق على نفسه ، وهو ما يكسبه وحدته، وفق شبكة من العلاقات التي تنشأ بين كلماته، وتنظم بنيته، بعيداً عن مؤلفه وظروف كتابه، مرجعياته مهما كان مصدرها.

ولما كان لهذا المنهج حضوراً لافتا على الساحة النقدية العربية منذ البدايات الأولى ، فإن أول ما يصادف الباحث في هذا الشأن هو ذلك الزخم المصطلحي الذي عرفته الساحة النقدية نتيجة ترجمة المصطلح الأجنبي"STRECTURALISME"، حيث نجد لهذا المصطلح كماً كبيراً من المقابلات المصطلحية نذكر منها : البنيوية، البُنيوية، البنيائية، البنائية، البنوية، البينية، الهيكلية، الوظيفية...إلخ وهو ما ولد خلطاً كبيرا وفوضى صعب التحكم فيها.

لما كان النقد الجزائري جزء لا يتجزأ من النقد العربي ، فقد نال هو الأخر حظه من هذا المنهج، إذ راح النقاد ينهلون من معينه كل حسب توجهه الخاص، إذ نجد عبد المالك مرتاض قد استخدم في البداية مصطلح "البنيوية" كغيره من النقاد العرب، إلاّ أنه سرعان ما عدل عنه في كتابه "تحليل الخطاب" السردي، و مقالته "مدخل في قراءة الحداثة"، إذ رأى أن النقاد العرب قد تداولوا المصطلح الخاطئ وهو "بنيوية" «وذلك عوضاً عن الاستعمال النحوي السليم الذي هو إما" بنيية"، وذلك كما تقول في النسبة الى "فتية"، "فتى"

على القياس، لأنك تجريه مجرى لا يعتل، وهو مذهب أبي عمر بن العلاء، كما يمكن أن يقال "بنوي" وهو في اينا أخف نطقاً و أكثر اقتصاداً لغوياً »[11].

ويصر عبد المالك مرتاض على الدفاع عن رأيه في كل فرصة تتاح له، رافضاً شيوع ما يراه خطأً وقع فيه المتعصبون لآرائهم، خاصة إن كانوا من أهل العلم والمعرفة، إذ لا يمكن لهؤلاء حسبه فرض خطئهم العالم بتغيير القوانين الصائبة، في الوقت الذي دافع فيه "عبد الرحمن حاج صالح" مصطلح "البنوية "و"بنوية" وفق رؤية علمية ومنهجية دقيقة، وبوعي لغوي غاية في النضج، إذ كان أول من استعمل هذين المصطلحين عبر مجموعة من المقالات التي نشرها في مجلته (اللسانيات)، فشاع المصطلح في الكثير من الكليات عبر جامعات الوطن.

فكان من الذين تبنوا المصطلحين " أحمد يوسف "و"رابح بوحوش"، اقتداء بأستاذهم حاج صالح، وعبد المالك مرتاض، الذي يؤكد في كل مرة على أن شيوع مصطلح بنيوية مرفوض لذلك اقترح بديلا له وهو مصطلح "بنوية"، وهو ما جعل "يوسف وغليسي" يعيب على مرتاض انتقاله من مصطلح إلى أخر، فهو يرى أنه من الضروري أن يحسم الناقد مصطلحاته مع نفسه في مرحلة أولى ، لأننا —حسب قوله– « ألفينا بعض النقاد يدعون إلى مصطلح معين ثو يأتون غيره غداً، كما رأينا في حالة الدكتور عبد الملك مرتاض(من البنيوية الى البنوية) الذي دأب على مثل هذه الحركات الاصطلاحية التصحيحية، حتى وإن كلفه الانقلاب على ذاته »[12]، مدافعاً عن مصطلح "البنية" بوصفه النسبة الأصح من حيث القياس اللغوي.

3.4. تجريب المصطلح السيميائي في النقد الجزائري المعاصر:

لقد احتل المنهج السيميائي مكاناً متميزا بين الدراسات اللغوية والنقدية العربية والغربية على حد سواء، بفضل اتساع مجال دراستها الذي العلامات اللغوية وغير لغوية في علاقتها بمستعمليها، إذ دخلت السيميائية مجال النقد ابتداء من مطلع ستينيات القرن الماضي مع كل من بيرس، رولان بارث ، جوليا كريستيفا وغيرهم، أما في الوطن العربي فقد ظهرت السيميائية العربية مع محمد مفتاح، عبد الفتاح كليطو، عبد الله غذامي...إلخ،

ورغم تعدد اتجاهات السيميائية و تشعب طرائقها إلاّ أنها تقوم على مبادئ موحدة، مما يجعلها مرتبطة ببيئة الفكر المعاصر في اعتمامها بحياة العلامات في النص ومعالجتها وفق رؤية ثقافية ، تولي عناية خاصة بالقارئ و استجابته و أفق استقباله، رغم الاختلاف الظاهر في الاستعمال المصطلحي، حيث نجد الدارسين في أوروبا يتأرجحون بيم مصطلحين اثنين يحملان نفس الدلالة (Sémiologie) من (Simon) اليونانية حسب طرح دوسوسير، و (semiotice) حسب بيرس.

ما يعني أن هذا المصطلح قد عرف أزمة مصطلحية في بيئته الأصل، الشيء ذاته عاشه بمجرد دخوله الثقافة العربية نظراً لحداثة المنهج السيميائي في الساحة النقدية العربية، إذ نلاحظ اختلافاً واضطراباً في وضع مصطلحات هذا الحقل بداية من مصطلح السيميائية ذاته، وهو ما انعكس على ظهور كم كبير من المقابلات العربية ، إذ أحصى عبد الله خلخال ما يزيد عن عشرين مقابلا . والأمر ذاته أقدم عليه "يوسف وغليسي" حيث جمع المقابلات الموافقة للمصطلحين والتي بلغ عددها ما يربو عن ستة وثلاثين مصطلحاً في مقابلة مصطلحين اثنين، نذكر منها: السيميائيات، السيميائية، السيميات، السيامية، علم السيمياء، علم الرموز، الدلائلية، علم الإشارات، الدلائليات....إلخ، وهو ما ولد حالة من الفوضى وعدم الانتظام في صياغة المصطلح المناسب بالإضافة إلى ضبابية كبيرة من المقابلات التي تختلط مع مفاهيم جديدة تجعل فهمها مستعصياً.

واستقبل النقاد الجزائريون كغيرهم من النقاد العرب المنهج السيميائي حيث نسجل حملة من المقاربات السيميائية على يد عدد منهم على نحو "رشيد بن مالك"، "حسين خمري"، "عبد الحميد بورايو"، ولكنها محاولات « لا تكاد تأخذ طابعها المنهجي المنظم إلاّ عند الدكتور عبد المالك مرتاض وعبد القادر فيدوح»[13]، ومع ذلك فقد عرفت السيميائية الجزائرية اضطراباً مصطلحياً واضحاً ، غذ أخذ النقاد الجزائريون يتأرجحون بيم مصطلحات محددة، مثل السيميائية، سيميولوجيا، وسيميائيات.

إذ عد عبد الملك مرتاض من بين هؤلاء الذين برزوا في هذه المقاربات، إذ أوجد لنفسه مصطلحات خاصة به، لتكون بديلاً عن عشرات المصطلحات الأخرى، إذ اعتمد مصطلح "السيمائية" مقابلات للمصطلح الأجنبي "sémiotique"، والذي أقره في كتابه(نظرية النص الادبي) إذ يقول في الاضطراب

الذي يعيشه المصطلح السيميائي: « كما يقع الخلط في الاستعمال إلى حد الاضطراب: بين السيميائية والسيميائيات والسيميولوجيا والسيميوتيكا (أو السيميو تيقا) و السيميائية وهو مصطلحنا»[14]، في محاولة منه لتبديد هذا الاضطراب، والعودة بالمصطلح الى جذوره اللغوية الصحيحة، فمرتاض يؤمن أن لا مصدر لصناعة المصطلح غير العودة للتراث المعجمي العربية، على الرغم أنه تبنى في بداياته مصطلح السيميائية، ولكنه سرعان ما عدل عن رأيه، بحجة اللحن الذي وقع في مستعملو هذا المصطلح (أساتذة وطلاباً)، بالإضافة إلى طول المصطلح –حسب رأيه- في ظل وجود مقابلات أكثر دقة وخفة في التراث اللغوي العربي.

ولعلّ من المصطلحات السيميائية التي اشتغل عليها عبد المالك مرتاض مصطلح" signe" الذي عرف هو الآخر مقابلات عدة، فمنهم من« يصطنع العلامة وهم خلق كثير، بل إننا الفينا منهم من يستعمل "الدليل" مقابلاً للمصطلح الأجنبي، والاستعمال الأخير مزعج إلى حد الإيذاء ومحير إلى درجة السمود»[15]، إذ يفضل مرتاض مصطلح" السمة" عوض العلامة ويرى أن المصطلحات الأخرى غريبة عنه، فمصطلح العلامة هو مقابل لمصطلح " la marque" بينما مصطلح "السمة أنسب كمقابل لمصطلح " signe".

كما سجل النقد الجزائري اضطراباً في نقل مصطلح" Espace" إذ يترجمه البعض بمصطلح المكان، و البعض الأخر بمصطلح الفضاء ، إلاّ أن عبد المالك مرتاض خالف هؤلاء، واصطنع لنفسه مصطلحاً شاع في كتاباته، وهو مصطلح "الحيز"، الذي «جاء من الانحياز و التحيز، بعد التوسع في معانيه أي اتخاذ حيز معين في أصل الوضع الحقيقي للفظ، ثم استعمل في اللغة الحديثة، مجازاً في المعنى السيء المتمحض لشخص يقف موقفاً غير عدل من شخص أخر أو من قضية ما»[16]، إذ يرفض أن يكون الفضاء مقابلاً لهذا المصطلح الأجنبي، حيث هناك تفاضلاً بين مصطلحي الفضاء والحيز، فالأول معناه الفراغ، بينما الحيز فيحيل على الآنية و المكانية ، وكذلك الحال بالنسبة للمصطلحي المكان والفضاء .

وإلى جانب "عبد المالك مرتاض" نجد الناقد الجزائري "عبد القادر فيدوح" يتناول مصطلح السيميائية، إذ يخلط بين ثلاثة مصطلحات في مؤلف واحد(دلائلية النص)، حيث يقابل

مصطلح"sémiotique" بمصطلحي دلائلية و سيميائية، ولكن القارئ يتفاجأ حين يجد مصطلحات أخرى نحو السيميولوجية، والتأويلية، والسيميوطيقا. وهو ما يؤكد بالفعل حالة الفوضى وعد الاستقرار التي عرفها المصطلح السيميائي في النقد الجزائري، والأمثلة كثيرة في هذا الباب.

5. خاتمة:

ما نخلص إليه بعد هذا أن تعدد المناهج النقدية أدى إلى انتاج مقاربات مختلفة اشتغلت على النص الادبي العربي والغربي، وهو ما سبب اختلافاً في الرؤية المنهجية الخاصة بكل منهج، وكذا تنوع آليات وإجراءات اشتعاله، حيث ينفرد كل منهج برؤيته ومصطلحاته الخاصة به والتي من خلالها يمكن التعرف عليه، هو ما لمسناه من خلال هذه الدراسة التي أكتد بالفعل حالة الاضطراب وعدم الاستقرار التي عرفتها الساحة النقدية العربية، وخاصة الجزائرية، على مستوى المصطلح خاصة، حيث ألفينا كما كبيراً من المقابلات المصطلحية لمصطلحات غربية محدودة العدد.

إذ تناول النقاد الجزائريون مصطلحات بنيوية وأخرى سيميائية، وحاولوا أن يضعوا لها مقابلات عربية، فمنهم من اكتفى بالتعريب والترجمة، ومنهم من اصطنع لنفسه مصطلحات خاصة به، ولكل واحد منه حجة في ذلك.

الهوامش والإحالات:

[1] أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.ط10. 1994. ص115.

[2] عبد السلام المسدي: الأدب وخطاب النقد. دار الكتب الوطنية. ليبيا. ط1 . 2004. ص 295.

[3] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف. الدار العلابية للعلوم ناشرون، الجزائر. ط1. 2008. ص ص 27. 28.

[4] سعد ين هادي قحطاني : التعريب و نظرية التخطيط اللغوي–دراسة تطبيقية عن تعريب المصطلحات في السعودية– مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط1. 2002. ص 48.

[5] سيد بحراوي: البحث في المنهج في النقد العربي الحديث. دار الشرقيات . القاهرة. ط1. 1993.ص 111.

[6] عزت محمد جاد: نظرية المصطلح النقدي. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. د/ط. 2012.ص 81.

[7] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد. الدار العربية للعلوم ناشرون. الجزائر. ط1. 2008. ص56.

[8] يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض. بحث في المنهج وإشكاليته. إبداع. الجزائر. د/ط.2002.ص 63.

[9] عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة–دراسة ميدانية– الطباعة الشعبية للجيش. الجزائر.د/ط.2007.ص 197.

[10] محمد مكاكي: التجربة النقدية الجزائرية المعاصرة. دار جليس الزمان. عمان الأردن.ط1. 2014. ص 44.

[11] عبد المالك مرتاض: في نظرية النقد. دار هومة. الجزائر. د/ط. 2002.ص ص 190. 191.

[12] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد. ص 131.

[13] يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر.ص 134.

[14] عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي. دار هومة الجزائر. د/ط. 2007. ص35.

[15] عبد المالك مرتاض: نظرية الادب. ص 148.

[16] المرجع نفسه. ص 296.

قائمة المصادر والمراجع:

- الشايب أحمد: أصول النقد الأدبي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.ط10. 1994.
- بن هادي قحطاني سعد : التعريب و نظرية التخطيط اللغوي–دراسة تطبيقية عن تعريب المصطلحات في السعودية– مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط1. 2002

– بحراوي سيد: البحث في المنهج في النقد العربي الحديث. دار الشرقيات . القاهرة. ط1. 1993

– بورايو عبد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة–دراسة ميدانية– الطباعة الشعبية للجيش. الجزائر.د/ط.2007.

–محمد جاد عزت: نظرية المصطلح النقدي. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. د/ط. 2012.

–مرتاضعبد المالك : في نظرية النقد. دار هومة. الجزائر. د/ط. 2002.

–مرتاض عبد المالك: نظرية النص الأدبي. دار هومة الجزائر. د/ط. 2007

- المسدي عبد السلام : الأدب وخطاب النقد. دار الكتب الوطنية. ليبيا. ط1 . 2004
- المسدي عبد السلام : نظرية النص الأدبي. دار هومة الجزائر. د/ط. 2007.
- مكاكي محمد: التجربة النقدية الجزائرية المعاصرة. دار جليس الزمان. عمان الأردن.ط1. 2014

– وغليسي يوسف: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف. الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر. ط1. 2008.

– وغليسي يوسف: النقد الجزائري المعاصر من الأنسونية إلى الألسنية. إبداع . الجزائر.د/ط. 2002.